

في نور محمد فاطمة الزهراء

اللوحة الأُولى لقاء لبقاء بدار صغيرة من منازل قريش، تحفّ - شرفاً وتكريماً لأهلها - بالبيت الحرام، وتهبط عن الطريق بضع درجات، وتطلّ من جانب منها على ساحة لها فسيحة، اتّخذها أصحابها قاعةً لاستقبال الضيفان. هناك ... التقى الصغيران، وكان اللقاء كما ليس مثله لقاء، فلم يكن لقاء صدفة عابرة، عن خبطة ارتجال، ولا لقاء ضرورة حتمت الامتثال، ولا لقاء إعداد سبقه تحسّب واتّفاق، ولا لقاء قرابة دعت إليه الأصول والأعراق، ولا لقاء طفولة، على دمية ولعبة، أو على لهو وتسرية، كما هو مألوف في دنيا الأطفال. كلا، لم يكن لقاؤهما كهذا النمط أو كذاك، لم يكن وليد صدفة عفوية أتيح لها الانبثاق من طرف طارئ، كلمحة برق خاطفة يبعثها احتكاك غيمتين شاردتين التحمنا على غير انتظار، فإذا هي تتوهّج لحظة، ثم لا تلبث بعدها أن تذوب في ظلام ليلة شتاء. ولم يكن عن ضرورة قاهرة قدّرتها قبل يومها هذا الأُسرة الكافلة، ووقعت لها في حسابان، ولم يكن من غرس دم ورحم أن يلتحم التحام السبّابة بالوسطى، غصنان طريّان - كأزّهما غصن واحد - من جذع تلکم الشجرة الباسقة [272] المورقة،